مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا عدد 02 خاص -أفريل2022 ص ص: 314-329
ر ت م د (ISSN): 2602-618X /ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

من أعلام الثقافة بمنطقة تيارت
محمد صوالح 1872-1953

From the cultural figures in Tiaret region

Mohammed Soualah 1872-1953

لهلالي سلوى ♦

جامعة سطيف 2 lahlaliselwa@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/10/28 تاريخ القبول: 2022/01/24 تاريخ النشر: 2022/04/30

ملخص: يعتبر محمد صوالح بن معمر أحد الشّخصيات التاريخية المغمورة من منطقة تيارت ، حيث كان من بين أعضاء النخبة المطوّرة في الفترة الاستعمارية ، وقد استفاد من التعليم الفرنسي واستطاع الاحتكاك بكبار الأستاذة الفرنسيين ، نال شهادة الباكالوريا في 1894 ، ثم عمل مترجما قضائيا، واستطاع الحصول على دكتوراه الآداب و هو أوّل من نال شهادة التبريز في 1910، كما شغل منصب أستاذ للتعليم الثانوي في المدرسة العليا للتجارة والمعهد الزراعي في الجزائر ، كما كان مترجما وصحفيا أسّس بعض الجرائد التي كانت معروفة في ذلك الوقت كالمستقبل الجزائري والنصيح، وكان عضوا نشيطا في حركة الشبان الجزائريين إلى جانب ابن ثامي ، عرف بإسهاماته العلمية في مجال التعليم حيث ألف عشرات الكتب حول التعليم الأهلي وتعليم اللغة العربية ، إلى جانب اهتمامه الفكري بوسائل تطوير المجتمع الجزائري ، وسنحاول من خلال ورقتنا هذه الإحاطة بالإسهامات الثقافية والعلمية لهذه الشخصية المغمورة في التاريخ .

الكلمات المفتاحية: محمد صوالح؛ تيارت؛ المجتمع الأهلي؛ التعليم؛ النخبة.

Summary : Mohammed Soualah bin Muammar is considered one of the famous historical figures from the Tiaret region,where he was among the members the elite developed in the colonial period , and he benefited from French education and was able to interact with the elders of the French professor , he obtained his baccalaueate degree in 1894 , then a judicial translator and was able to obtain a doctorate in literature and the first to obtain a certificate of Tabriz in 1910, he also held the position of secondary

♦ المؤلف المرسل

education at the Higher School of Commerce the Agricultural Institute in Algeria , as well as a translator and journalist, founded some newspapers that were know at that time , such as the Algerian Mustaqbal and the Nasih , and he was an active member of the Algerian youth movement alongside Ibn Tami, In addition to his intellectual interest in the mechanisme of developing Algerian society, and through this paper , he will try to Briefing on problem centered on the cultural and scientific contributions of this ubiquitous figure in history.

Keywords ; Mohammed Soualah ; Tiaret ; Civil Society ; Education ; Elite.

مقدمة: يعتبر المثقف محمد صوالح ابن منطقة تيارت، من الشخصيات المغمورة في المجال الثقافي و السياسي بالجزائر في الفترة الاستعمارية ،حيث كان ضمن النخبة المفرنسة التي ركز عليها صانعو القرار في إطار التثاقف الفئوي ، وقد جمع بين المرجعية الثقافية والاجتماعية التي أهلته لذلك،و استطاع البروز كأحد الوجوه الفاعلة في النخبة الجزائرية من خلال تعليمه ومكانته العلمية ، حيث عكس صورة المثقف الحداثي الذي حاول تطوير المجتمع الأهلي الجزائري انطلاقا من الأفكار التقدّمية و طرحها في شكل مشاريع تقدمية اهتمت أساسا بالتعليم كركيزة أساسية للنهضة ، كما اهتم بالسياسية في مرحلة العشرينيات في إطار حركة الشبان الجزائريين، ونادى إلى سياسة العيش المشترك بين المجموعتين انطلاقا من التماهي في الآخر ، ومن خلال هذه القيمة الثقافية للرجل ، جاءت إشكالية ورقتنا البحثية محدّدة في : مظاهر الإسهام السياسي و الثقافي لمحمد صوالح ؟.

1 – مشروع النخبة الجزائرية المطوّرة* :

عملت إدارة المحتلّ في الجزائر على فرض الهيمنة الثقافية من خلال تقويض المؤسسات العلمية والدينية، إلى جانب العمل على خلق فئة من الأهالي الجزائريين لتكون موالية لفرنسا سياسيا و ثقافيا ، و تتبنى في نفس الوقت ثقافة المحتلّ ، وهو ما جسّدته من خلال نظام تعليمي من شأنه تطبيق سياسة التثاقف الانتقائي من خلال تعليم موجّه في أهدافه ، ويعرّف جورج مارسي (George Marçais)هذه النخبة المنتقاة

*- النخبة الجزائرية المطورة: مصطلح مترجم(les évolués) وهي نخبة منتقاة ذات تراتبية ثقافية عالية بالمقارنة مع المفرنسة، مع محددات سوسيوثقافية واضحة ودقيقة.

قائلا : « بواسطة ثقافتكم التي تأتي لتدعم أصلكم ، تنتمون لما يمكن أن نسميه بكل شرعية « نخبة الأهالي » ، إنها تسمية شرعية كما تعلمون ، وهي تسمية تصف بالضبط ما تعارف عليه الجميع من صفات النخبة، والمقصود اتصافها بصفات أوروبية معينة ، التي هي مكونة من المحامين، بعض الأطباء الشرفاء ،و جيش من الصحفيين المهرة ، المدرسيين الابتدائيين الذين هم واعون بالدور الحاسم المنوط بهم و بالمسؤولية الكبيرة التي ألقتها فرنسا على عاتقهم ، حينما جعلتهم يشغلون المحل الذي هم يشغلونه » [1].

ويبدو من خلال كلام جورج مارسي أن هذه النخبة المفرنسة ،قد صعدت في التراتبية الاجتماعية الجديدة في إطار المجتمع الجديد الذي خلف الخيم الكبرى ــ المجتمع التقليدي ــ وعوّض بأسر برجوازية موالية لفرنسا و التي عرفت بتسمية" الرجال الجدد" ، كما أن هذه العضوية الاجتماعية الجديدة استلزمت منهم دفع ضريبة من خلال إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية ،حيث يقول علي الكنز واصفا الوضعية : « فكان عليهم دفع ضريبة عضويتهم ، لقد قاموا بالتخلي عن الحقل الثقافي الثري و الواسع و كنّسوه من أفكارهم ، تلك الأفكار التي افتقرت إلى الدلالات الاجتماعية وافتقرت التأثير و الممارسة العلمية » [2].

وقد كان من الطبيعي احتكاك هذه الأسر الجديدة بالإدارة الاستعمارية عن طريق العمل في مختلف الإدارات ، و هو ما خلق تأثرا ثقافيا و اجتماعيا أدى إلى تغيير عميق في نمطيّة التفكير و حتى في الممارسات السلوكية ، إضافة إلى مواقفهم من الأخر ، بل واكتسبت فاعلية التأثر بالأمّ (فرنسا) ، و اتّضح هذا في محاكاته في طريقة العيش و العمل والتفكير ، وهذا ما أدّى إلى قبولها أخيرا بإرسال أبنائها للمدرسة الفرنسية ، وهذا ما ترجمه الجيل الثاني من هؤلاء الشبان كفرحات عباس و بلقاسم بن ثامي و محمد صوالح وغيرهم [3].

كما كان لفشل ثوره المقراني في 1871 دور في هذا الاستسلام الثقافي و إرسال أبناء الأهالي للمدرسة الفرنسية بسبب الأوضاع المزرية للجزائريين ما بعد الثورة كرد فعل عقابي من صانعي القرار في فرنسا على التمرد، و كانت عاملا قويا دفع بهذه العائلات

1 الشريف بن حبيلس ، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي ، تر عبد الله حمادي و آخرون ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، قسنطينة ، 2009 ، ص 6

2 علي الكنز ، حول الأزمة خمس دراسات حول الجزائر و العالم العربي ، دار بوشان للنشر و التوزيع 1990 ، ص 27 .

3 سليمان الشيخ ، الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين ، دار القصبة للنشر الجزائر ، 2007 ، ص29.

الجديدة لإرسال أبنائها للتمدرس و ذلك إما حفاظا على مكانتها الاجتماعية ، أو الخروج من وضعية البؤس الاجتماعي الذي كانت فيه، وقد فضلت الاحتفاظ برتبتها الجديدة كنوع من التحالف مع الإدارة الفرنسية من باب الخوف أو لتحقيق امتيازات أخرى، غير أن إدارة المحتل فضّلت استغلال هذه الأسر من أجل فرض الهيمنة على الأهالي، و كانت نوعيه الامتيازات التي تتحصل عليها هذه البرجوازية الجديدة مرتبطة بمدى الخدمات المقدّمة [4] .

2 -محمد صوالح : المسار والتصوّرات

يصنّف محمد صوالح كأحد أهم الشخصيّات التاريخية في مدينة تيارت، إذ رغم أفكاره الداعية للأخذ بأسباب التطوّر من الثقافة الفرنسية و التي ترتبط بالتماهي في المجتمع الفرنسي، إلّاّ أنّه يعتبر من أعمدة دعاة التعليم بالعربية الدارجة، وقد صدر له بهذا الخصوص مؤلفات كثيرة موجهه بصورة مباشره للتلاميذ المبتدئين من الأهالي الجزائريين [5] .

ومن جهة أخرى، يعتبر محمد صوالح ضمن الشّخصيات المغمورة في تاريخ الجزائر الثقافي حيث لا نجد دراسات وافية حول حياته و انجازاته رغم مؤلفاته الغزيرة و وزنه العلمي ، و لم يلق نصيبا من البحث و الدراسة، ولا نوعز هذا التهميش إلى أفكاره لأنه بالرغم من ميله للتّماهي والاندماج مع الآخر إلّا أنه كان متمسكا بجزء من أصالة مجتمعه خاصة ما تعلق بالشؤون الإسلامية للمجتمع الأهلي الجزائري، و عن أفكاره الداعية للاندماج فإنها أفكار كانت رائجة جدا في وقته و مطروحة بقوّة، و بالتالي فهو لم يصنع الاستثناء بطرحه هذا.

تجمع بعض الإشارات التاريخية انه ولد في 1872 بفرندة بتيارت ، هو من قدماء تلاميذ مدرسة النورمال ببوزويعة، ويبدو أنّ المعلومات الشخصية المتعلقة بصوالح قليلة جدا، ويذكر كذلك انه حاصل على شهادات كثيرة و كان من الجزائريين القلائل الذين ساعفهم الحظ و الظروف لإكمال دراسته ، بالرغم من أنّه من أسرة ريفية، كما يعتبر من القامات العلمية المغمورة وقد استطاع الحصول على شهادة الباكالوريا في 1894 من المدرسة

4 الجمعي خمري ، حركة الشبان الجزائريين و التونسيين 1900 – 1930 ، ج1 ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2002 – 2003 ، ص 60 .

5 أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954) ، ج6 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1998 ، ص 261 .

العليا للآداب بالجزائر العاصمة، ثم أصبح مترجما قضائيا ، و حصل على دكتوراه الآداب وشغل منصب أستاذ ثانوي في المدرسة العليا للتجارة و المعهد الزراعي بالجزائر، وأسس المدرسة العربية الفرنسية للتجارة[6]، كما عمل مترجما و صحفيا ،و أصبح أستاذا بجامعة الجزائر رفقه عمر دهينة و يعتبر أول معلّم تحصل على درجة التبريز في الجزائر سنة 1910 وهي أعلى شهادة بعد الدكتوراه تعتمد على المناظرة .[7]

كان محمد صوالح أحد الجزائريين الأهالي الذين دخلوا ميدان الكتابات الاستشراقية من خلال تأثره بأستاذه رينيه باصيه، و كتابه" المجتمع الأهلي في شمال إفريقيا" والمقسم إلى ثلاثة أجزاء - دليل على النزعة الاستشراقية في كتاباته و التي اختلطت بالمونوغرافيا [8] ، كما أشرف على مجموعة من التلاميذ الذين اشتهروا في ميدان التعليم و حتى التأريخ و الأنثروبولوجيا، كحال جاك بيرك (Jacques Berque) الذي كان تلميذا لمحمد صوالح وهو ابن بلدته " فرندا "، كما يذكر أنّ محمد صوالح أصبح أستاذا بجامعه السوربون بباريس [9] .

ولا نجد ذكرا أو وصفا لحياته الخاصة أو محيطه الاجتماعي سوى أنه تجنّس سنه 1901 وتزوج بفتاة فرنسية ، و قد نال ميداليات شرفية كثيرة منها في عهد الحاكم روجي ليونار(Roger Leonard) نتيجة أفكاره التعايشية بين المجموعتين الجزائرية و الفرنسية، وبقي يقدّم الدروس في المعهد الزراعي إلى غاية تقاعده سنه 1949 حيث حصل على وسام الجوقة ، كما أنه شارك في الحرب العالمية الأولى منذ 1915 كمسؤول عن المجندين المسلمين [10] .

---

6 Hamet, (1906) musulmans français du nord de l’Afrique librairie Armand colin, paris, p 209.

7 تاج محمد ، "تعليم النحو لغير الناطقين باللغة العربية كتاب الأستاذ صوالح محمد أنموذجا" ، مجلة الخلدونية، المجلد7 ، العدد1 ، 2014 ، ص 384 .

8 سلوى لهلالي ، "إسهامات محمد صوالح بن معمر في الدراسات الإستشراقية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابه : La Société Indigène De L’ Afrique Du Nord 1937" ، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ، المجلد9 ، العدد 1 ، 2021 ، ص ص، 4-5 .

9 تاج محمد ، المرجع السابق ، ص 384 .

10 Alain Messaoudi ; " Les professeurs d’arabe des collèges et lycée d’Algerie1840-1940",Outre-mers, revue d’histoire, Année 2011,N 370-371,p155 .

3 – مساهمته في الحياة السياسية و الثقافية : برز محمد صوالح كعنصر فاعل في حركة الشبان الجزائريين إلى جانب بلقاسم بن ثامي الذي ترأس حركة الشبان في مرحلة العشرينيات إلى غاية 1927، حينما قام ابن جلول بسحب القيادة منه لتدخل الحركة مرحلتها الثانية بظهور الجيل الثاني من الإدماجيين ، غير أنّ حركة الشبان الجزائريين قد عرفت أزمة داخلية جعلها تنقسم على نفسها وذلك بعد صدور قرار إصلاحات 4 فيفري 1919، وقد تضمّنت هذه الإصلاحات قضيّة التّجنيس والأحوال الشخصية، وقد أثّر القانون في إحداث تغييرات في أوضاع حركة الشبان الجزائريين، بحيث ظهر اتجاهين مختلفين داخل الحركة بعد قبول جماعة ابن ثامي ومحمد صوالح للجنسية الفرنسية ، والظاهر أن صوالح قد تعارض مع أفكار الأمير خالد وهو ما جعله يؤسس جريدة النصيح(1920) كرد على جريدة الإقدام التي أسسها الأمير خالد وقد جرت سجالات سياسية بين الجريدتين[11].

كما أسهم محمد صوالح مع ابن ثامي في تأسيس بعض الصحف التي كانت معروفه في تلك المرحلة، كالمستقبل الجزائري ما بين 1920-1921 و مستقبل الجزائري 1921، وجريدة النصيح ما بين 1921-1922 [12] ، ولأنّ إدارة الاحتلال كانت تسعى إلى ضمان شدّ هؤلاء لثقافتها و التعريف بها بالتركيز على فئة المطوّرين - الرجال الجدد- ، و سمحت لهم (النخبة المنتقاة) بالانخراط في النوادي الثقافية الفرنسية أو حتى في الجمعيات الفرنسية الأهلية والتي كانت بمثابة مبادرة من الليبراليين الفرنسيين، خاصة وأن هذه التنظيمات الثقافية قد تزامنت مع ظهور حركة الشبان الجزائريين في عهد شارل جونارِCharles) (Jonnart تحديدا والذي عُرِف بتشجيعه للخدمات الاجتماعية وتوسيع دائرة الدراسات العربية، و يشير موريس بولار (Maurice Poulard) إلى الجمعيات الفرنسية ذات الطابع الثقافي و التي كانت تنشط منذ سنة 1897 ،و تعتبر الرشيدية التي أسسها سارو في 1902 أول جمعيه ثقافية رسمية تشكّلت من قدماء تلاميذ المدارس العربية الفرنسية مدير المدرسة الأهلية بالجزائر، وكان هدفها خلق الصداقة والتعارف بين قدماء التلاميذ إلى

11 عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية 1880-1954، ج1، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 153-156.

12 لهلالي سلوى ، المرجع السابق ، ص 5 .

جانب تقديم مجموعة من الدروس والمحاضرات التي تعرف بالفرنسيين والثقافة الفرنسية ، وتشجيع أبناء الأهالي الجزائريين على ارتياد المدرسة الفرنسية [13] .

كما ساهمت هذه التنظيمات الثقافية في نشر اللغة الفرنسية وأفكار الثقافة الفرنسية من خلال المحاضرات و الدروس الثقافية، إلى جانب إلقاء الدروس و المحاضرات باللغة العربية [14]، إلى جانب هذه التنظيمات نشطت النوادي الثقافية التي ضمّت بعض المثقفين من الأهالي كنادي صالح باي (1907)، الذي ضمّ ابن الموهوب و مصطفى باش ترزي و محمد بن باديس [15] .

وعن مشاركة محمد صوالح فإنّه كان عنصرا مؤسسا و فعالا في بعض التنظيمات الثقافية، حيث أسهم في تأسيس الجمعية التوفيقية في 1908 و التي ترأسها ابن ثامي وكان محمدصوالح مساعدا له، إلى جانب جمعية الطليعة التي تأسست في 1895 بالجزائر العاصمة و أسسها كذلك ابن ثامي مع محمد صوالح [16] ، كما يظهر أنّ محمد صوالح و رغم انسحابه فيما بعد من حركة الشبان واهتمامه بالتعليم ،إلّاّ أنّه كان يتابع التطوّرات السياسية الحاصلة في الجزائر خاصة المتعلقة بالمراسيم و القوانين، حيث يذكر الباحث محمد تاج بأنّه في مقدمه كتاب محمد صوالح حول : Nouvelle méthode pratique d'arabe régulier ou classique que d l'usage de tous les établissement d'instruction - يوضّح أسباب تأليف الكتاب و من ضمن العوامل : « قانون 27 سبتمبر 1947 المتعلق بتنظيم الجزائر و خاصة مادته 57 ،التي تحاول تنظيم تعليم اللغة الفرنسية لجميع الفئات حسب قرارات مجلس الجزائر الذي يحدد برنامج اللغة الفرنسية الكلاسيكية و الدارجة في التعليم ...» [17] .

4 - اهتماماته التعليمية : اشتهر محمد صوالح بتأثّره الكبير بالكتّاب الفرنسيين، خاصة وأنه أحد خريجي المدرسة الفرنسية ، و قد ألّف العديد من الكتب غير أنها ليست معروفة عند الأغلبية من الباحثين، و تمثّل قيمة علمية تعليمية و تاريخية ، بغضّ النظر عن

13 Maurice Poulard ; l'enseignement pour les indigènes en Algerie , imp Gojosso Alger , 1910 , pp334-335

14 Ibid,p 336 .

15 حاجي فريد ، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837 – 1937 ، دار الخلدونية الجزائر ، 2013 ، ص 404 .

16 الجمعي خمري ، المرجع السابق ، ص 503 .

17 تاج محمد ، المرجع السابق ، ص 387 .

الإطار الإيديولوجي الذي ألّفت لأجله، لكنّها عكست قوة التكوين العلمي لصوالح ، وقدراته البيداغوجية التي اعترف بها الفرنسيون، ولهذا فقد كان صوالح جزءا من المنظومة التعليمية الفرنسية من خلال إسهاماته التعليمية إلى جانب إسهامه بمقالات في المجلة الإفريقية.

آمن محمد صالح بقدرة المدرسة الفرنسية على تغيير الواقع الفكري للأهالي الجزائريين من خلال التأثير على الذهنيات و السلوكيات، و يبدو أن هؤلاء المطوّرين لم يعارضوا الدين الإسلامي ورفضوا الطروحات الفرنسية التي اتّهمت الإسلام بتحويل المجتمعات إلى متخلفة، وهو لا يعادي الحضارة في نظرهم لأنّ الإسلام : « يدعو إلى الدراسة و محبتها بفرعيها : العلوم الشرعية و علوم الدنيا عموما ، إنه الكتاب الأول الذي أصرّ على التعاون و التآزر والتضامن » [18] ، ويعتبر محمد صوالح من دعاه سياسة العيش المشترك و يرى بأنه كان لها اثر ايجابي على المجموعة الجزائرية من خلال التغيرات والتطورات التي بدأت تظهر على المجتمع الجزائري المديني تحديدا .

قدّس محمد صوالح المدرسة و أولاها اهتماما وقيمة علمية وحضارية حيث يرى:» بأنّ المدرسة الفرنسية قد أحدثت تغيرا جذريا في عقلية المجتمع الأهلي، و أثّرت بالإيجاب على إنتاج الأهالي في كل ميادين الحياة، وأنّها شجّعت حضور المسلمين إلى المدرسة الفرنسية يفوق 90 % » [19] ، وقد ثمن اهتمام مجتمع المدينة بالتعليم و توفيره لأبنائهم من خلال الاعتماد على نظام المعلم الخصوصي، إذ يعتبر هذه الخطوة بداية التأثر الايجابي بالآخر [20] .

و لم يقتصر اهتمامه فقط على التعليم ، و إنّما اعتبر اللغة وسيلة مهمّة في عملية التواصل والتحصيل في المدرسة أو في إطار الحياة الاجتماعية ، كما اعتبرها جزءا من عملية التعايش المشترك بين المجموعتين ، حيث ركّز في مؤلفاته البيداغوجية على تعليم الفرنسية للأهالي الجزائريين وهو ما عكسته مؤلفاته باللغة الفرنسية، وقد أصدر محمد صوالح عددا كبيرا من الكتب البيداغوجية الموجّهة للطفل الأهلي بالدارجة ، ويلاحظ أنّ

18 الشريف بن حبيلس ، المصدر السابق ، ص 146 .

19 Mohammed Soualah : la société indigène de l'Afrique du nord(Algerie،Tunisie ،Maroc، Sahara)،3 éme partie ،Alger la typo-litho et gules carbonel éditeurs،1937 , p382 .

20 Maurice Poulard ;op-cit , p383 .

استخدامها كلغة تعليم تعطي طابعا مطابقا للغة الطفل في المنزل والمدرسة بالنظر إلى نمطيه المنهج المعتمد والنماذج كثيرة.

ورغم أنّ الانتقادات التي وجهت لأصحاب الكتب البيداغوجية بالدارجة كونها ضربا لهوية المجتمع الأهلي ومحاولة للقضاء على اللغة العربية و جعلها مجرد فولكلور شعبي، إلّا أنّنا نلاحظ أنّ محمد صالح لم يؤلف كتبه البيداغوجية انطلاقا من قناعة المشاركة في السياسة الفرنسية الهادفة لتقويض اللغة العربية، وهو ما انعكس في آرائه بحيث أنّه لاحظ تعمّد الإدارة الفرنسية تهميش اللغة العربية و العمل على تخلّفها، و قد استنتج أنّ هذه المواقف ما هي إلّا سياسة اعتمدها صانعوا القرار في باريس من اجل فصل الجماهير البربرية خصوصا عن الكتلة الإسلامية من اجل تسهيل تنصيرهم أو جعلهم في خانة المواجهة مع العرب في إطار سياسة الثنائيات التي تعمّد الاستعمار خلقها. [21]

إلى جانب اهتمام صوالح بالتعليم و الأمور البيداغوجية، فقد أولى اهتماما بالتراث العربي الإسلامي من خلال دراسات تراثية تاريخية، كمقاله حول الصوم عند المالكية و تبيان القيمة الدينية لشهر رمضان في حياة المسلمين و هو مستخرج من رسالة أبي زيد القيرواني، والذي نشره في المجلة الإفريقية [22] .

الّف محمد صوالح العديد من الكتب البيداغوجية وهذه أهمها:

En arabe régulier

-Méthode pratique d'arabe régulier : grammaire , syntaxe, exercice, notions sur les lettres, métrique, prosodie, lexique (4e Edition, corrigée et complétée) .

-Corrige des exercices de la méthode d'arabe régulier .

-Lectures littéraires et récréatives arabes .

21Mohammed Soualah ,op-cit,p 472 .

22 سعد الله ، المرجع السابق ، ص 260 . وجدير بالذّكر أن محمد صوالح قد اعتبر اللغة العربية لغة عريقة ونبيلة، إلى جانب تأثره بالتراث الشفوي الذي تعلمه من لهجة والدته وكلماتها مثل(يا ويلي) ، =حيث استطاع من هذا المحيط الأسري تكوين مخزون من الكلمات الدارجة، ينظر: Albert Bensoussan ; la langue de ma mère ,Hommes et Migrations, Année 1991, N 1142-1143 , p54.

-L’auxiliaire de l’arabisant .

En arabe parle

-L’arabe parle, pratique et commercial .

-Corrige des exercices de l’arabe pratique et commercial .

-Cours préparatoire parle : enseignement par l’image (sans caractères arabes), illustre . 4 Edition, augmentée .

-Livre du maitre .

-Cours Elémentaire D’arabe Parle (7e Edition)

-Livre Du Maitre, 2e Edition

-Cours Moyen D’arabe Parle (Illustre) , 3e Edition

-Livre du maitre .

-Cours supérieur d’arabe, parle (illustre) .

-Cours complémentaire d’arabe parle (illustre) .

-Tableaux de la vie arabe, l’école coranique, la famille arabe, le douar, la laine et le tissage, le café maure, le bain maure, les métiers arabes, les travaux de l’été, le pèlerinage et la fête patronale, les divertissements .

-Notice explicative en français en arabe .

En français

-Le premier livre de lecture a l’usage des écoles indigènes en pays musulmans (3e Edition) .

-Le jeune chez les musulmans malékites .

-Impressions et chant de caporal tabti Mustapha .

-Ibrahim ibn sahl, poète musulman d’Espagne .

-Une Elégie Andalouse Sur La Guerre De Grenade

-L'islam et l'évolution de la culture arabe, 2e Edition .

-A ch, jenmaire, l'Algérie reconnaissante .

5 – نظرته للثقافة الفرنسية

رغم المرجعية الثقافية لمحمد الصالح و التي ارتكزت على المدرسة الفرنسية و على التأثر بكتابات الفرنسيين وتحديدا المستشرقين ، إلّا أنه دعى إلى الاستفادة من الوجه الحضاري للثقافة الفرنسية و هو ما دفعه إلى الإسهام في التعليم الأهلي من خلال إنتاجه العلمي، إلّاّ أنّ نظرته تقوم على أساس مسايره التطوّر العلمي من خلال قبول المدرسة الفرنسية و الاطلاع على ثقافتها في سبيل تطوير المجتمع الأهلي، هذا ولاحظ محمد صوالح أنّ فرنسا أحدثت تغييرا في المجتمع الأهلي من خلال وصف مونوغرافي لمنجزات فرنسا ومظاهر التحول الذي حصل في حياة الأهالي خاصة في المدن، كما قدّم اعتراضا على تخلف الذهنيات في العقلية الأهلية سواء في الأفكار أو في الممارسة ، و رفضها لثقافة الآخر و التي اعتبرها فكرا متخلفا ،و منتقدا الوضعية السيئة التي وصل إليها المجتمع الجزائري [23] ، و حول دور فرنسا في حركه التعليم و تطويرها، فانّ محمد صوالح قد حثّ الأهالي على التوجه بقوه للمدارس الفرنسية و التي كانت - حسب رأيه - متوفرة و موزعة في كل المناطق [24] .

6 – أرائه حول المرأة الأهلية الجزائرية:

لم يهمل محمد صوالح موضوع المرأة في كتاباته حول المجتمع الأهلي ودعى إلى تطويرها و دمجها في المجتمع من خلال تقديم تعليم يتوافق و مستلزماتها و وضعيتها في المجتمع، كما نادى إلى تحرير المرأة من منطلق رفض وضعيتها المتخلفة داخل المجتمع سواء على مستوى المجموعات الشعبية وحتى الأسرية، و كثيرا ما كان يقارن في أفكاره بين المرأة في تونس و تركيا بالمرأة في الجزائر، وهي نفس النظرة التي طرحها رابح زناتي في مجموع نظرته للأوضاع الأهلية و المشروع الحداثي الذي سطّره حيث قال : « إنّ إحدى أهم خصائص الثورة التركية هي تحديدها للمرأة المسلمة وهذه المبادرة تحسب لتركيا بين دول الإسلام كلها ، فالفتيات التركيات من عائلات بورجوازية تلقين تعليما وتربية في

23 Mohammed Soualah , op _ cit p 487 .

24 لهلالي سلوى ، المرجع السابق ، ص 17 .

المدارس التركية و الفرنسية صرْن يرفضن أن يبْقين في بيوت مغلقة بعد أن تعلمن الاختلاط بالأوروبيات، وبعد أن قرأن الكتابات و الروايات المعاصرة » [25] .

كما طالب صوالح بضرورة فرض التعليم المهني على المرأة لأنه السبيل الأنجح لضمان دور ايجابي لها في المجتمع [26] ، و قد اعتبر انتشار ظاهره ماسحي الأحذية(الياولاد) نتيجة لغياب دور المرأة في المجتمع و إهمالها لواجباتها [27] ، إنّ قناعة محمد صوالح بصلاح الأبناء من صلاح الأمهات، و هو ما جعله يصف أمهات فئة ماسحي الأحذية بالسيئات حيث قال : « لو كانت تمتهن حرفة في المدارس التعليمية المهنية الفرنسية، كانت غيّرت هذه الوضعية، إنّهم يبيتون على عتبه أبواب المطاعم على أسطح المقاهي عددهم كبير، هم يتامى متخلى عنهم، أمهاتهم سيئات » [28] .

7-اهتمامه بالتراث الشعبي الأهلي من خلال الأمثال والشعر:

أولى محمد صوالح اهتماما كبيرا للتراث الشعبي الأهلي من خلال تدوينه للحياة اليومية للمجتمع الأهلي ، والاهتمام بتفاصيل الممارسات اليومية ونمط التفكير ، إلى جانب تركيزه على العادات والتقاليد ورموز الفولكلور المحلي للتعريف بالمجتمع الجزائري للأخر ، كما نلحظ إلمامه الواسع بهذه الجوانب المذكورة فرغم تكوينه الفرنسي إلاّ أنّه كان يحاكي التراث الاجتماعي من خلال سرد العادات والتقاليد المتعلقة بالميلاد والزواج والأعياد والأعراس ، وتمظهرات التديّن الشعبي من خلال قصص الأولياء الصالحين ، كما ألمّ صوالح بنقل الأمثال الشعبية ووضحها وترجمها إلى الفرنسية وقد اخترنا نماذج وعيّنات من كتاب الدراسة التي قمنا بها، و أردنا ذكرها تقديرا له وللأمانة فإنّ شرح هذه النماذج بالعربية والفرنسية قام بها محمد صوالح وهذا تأكيدا على ارتباطه بالثقافة الأهلية :

***Nar elhetab tetfa ou nar elmehabba tdoum** =le feu de bois s éteint ,mais celui de l'affection dure.

"نار الحطب تطفى ونار لمحبة دوم"

***Ennas ajnas** = les gens diffèrent comme les races.

25 La voix des humbles, N°66 , novembre 1928 .
26 Mohammed Soualah,op_cit , p 386 .
27 ibid . p 372 .
28 Mohammed Soualah,op-cit . pp 365 – 366 .

"الناس جناس"

***Ennas taref ennas ou el khail roukkabha** =les gens connaissent les gens et les chevaux connaissent ceux qui les montent .

"الناس تعرف الناس والخيل ركابها "

***Imout elfakroune ou ma ihokk dhahrou** =la tortue mourra sans -avoir jamais pu se gratter le dos .

"ايموت الفكرون ومايحك ظهرو"

***Ellesane ikammel el iksane** = la connaissance de la langue -perfectionne l'homme.

"اللسان يكمل الانسان"

كما أهتم محمد صوالح بالإشارة إلى الألغاز الشعبية التي كانت معروفة ومتوارثة في المجتمع الجزائري حيث قدمها بالفرنسية وشرحها بالعربية ، كما يقدم احيانا شرحا في الهامش للكلمات العامية بالفرنسية ، ونذكر من بين الألغاز التي أوردها:

***Darna khadhra soukkanha abid ,elqefel mène allah ou el meftah hedid** = EDDELLA' A.

Notre maison est vert ,ses habitants sont des noire ,la serrure provient D' Allah,et pourtant la clef est en fer ; la pastèque.

" دارنا خضرا سكانها عبيد القفال من الله والمفتاح حديد = الدلاع"

***Méne fouq louh , méne taht louh , fel ouest roug** = El fakroune

Par dessus c est dur comme une planche , par-dessous c est une planche , au milieu c est une âme = La Tortue.

"من فوق لوح ومن تحت لوح و فالوسط روح"

***Esmou bel h a balak tqoul el h out , ida kherej mène el ma iah -ia ou ida dkhel lel ma iemout** = El Melh.

Son nom contient un h gard –toi de dire c'est el hout ,lorsqu il sort de l'eau il est vivant et s il entre dans l' eau , il meurt ; LE SEL.

"اسمو بالحا بالاك تقول الحوت ، إذا خرج من الماء يحي وإذا دخل للماء يموت"

وفي إطار التراث والموروث الثقافي عرف صوالح بحبه للشعر حيث ألّف بعض الأشعار المرتبطة بالتقاليد الاجتماعية ، و هي مستوحاة من أعماق المجتمع ولا ندري هل هي موجودة أصلا بالدارجة وقام هو بترجمتها ،أم انّه ألّفها مباشرة بالفرنسية ، وهذا مقطع اخترناه من كتابه حول المجتمع الأهلي الجزء الثالث :

BERCEUSE

1-Mon fils dort au berceau pendant que je le balance.

Quand il grandira, il étudiera (le Coran) sur la planchette et le taleb l instruira.

2-Mon chéri est le plus admiré parmi les adolescents.

Dès que le soire arrive ,il les quitte et rentre à la maison .

3-O postillon ! conduis –bien .Prends garde ! Que mon fils ne tombe pas !.

Je te recommande d'avoire soin de lui ;de mes derniers je te payerai .

خاتمة : من خلال بحثنا لموضوع شخصية محمد صوالح توصلنا إلى النتائج التالية :

أولا: كان محمد صوالح بن معمر أحد أعضاء النخبة المطوّرة التي تبنت الثقافة الفرنسية كنمط تفكير للحياة، و قد ساعدته مرجعيته العلمية و الثقافية في الدخول إلى المجتمع الفرنسي و محاكاته في طريق العيش و التفكير، كما استطاع صوالح بفضل تعليمه نيل شهادات علمية عليا و استطاع أن يكون أول أهلي يحصل على التبريز في 1910، ورغم أصوله الريفية فقد كان مولعا بالتعليم و تقديم الإنتاج العلمي في هذا المجال، حيث ألّف عشرات الكتب الموجهة للتعليم الأهلي و كانت باللغة الفرنسية والدارجة المحلية شملت كل مواد التمدرس.

ثانيا : شارك محمد صوالح في الحياة السياسية بالجزائر منذ نهاية الحرب العالمية الأولى و انخرط في حركة الشبان الجزائريين التي أسسها ابن ثامي، وقد تبنى فكر الحركة المتعلق بالاندماج مع الآخر و الاستفادة من الحضارة الفرنسية في إطار إحداث التغيير داخل المجتمع الجزائري الذي مسه الجمود الحضاري. و أسهم في الحياة الصحفية من خلال تأسيس بعض الصحف مع بن ثامي إلى جانب بعض النوادي الثقافية، لكن يبدو أن حبه للتعليم منعه من التعمق في الحياة السياسية، فنلاحظ أن حدود نهاية اهتماماته السياسية كان بالتقريب مع سنوات 1922 - 1923.

ثالثا : عمل محمد صوالح على نشر أفكاره المتعلقة بتطوير المجتمع الجزائري من خلال طرح نماذج حداثية للتغيير، و اهتم بتحليل أسباب تراجع وتخلف كل فئة مقترحا الحلول ، والظاهر أن صوالح قد وافق طرح بن حبيلس في قضية الحلول التعليمية لتجاوز أزمة التخلف في المجتمع، و التي خلقت تشوهات اجتماعية كتخلف المرأة و ظاهرة التسرب المدرسي و ظهور فئة الياولاد، و انتشار المعتقدات الرجعية الرافضة لأي تغيير في المجتمع الأهلي الجزائري .

قائمة المراجع::

1. بن حبيلس الشريف، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، تر عبد الله حمادي وآخرون، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة، 2009 .
2. تاج محمد، "تعليم النحو لغير الناطقين باللغة العربية، كتاب الأستاذ صوالح محمد أنموذجا"، محلة الخلدونية، مج7، ع1 ، 2014.
3. حاجي فريد، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837 — 1937 ، دار الخلدونية الجزائر ، 2013 .
4. خمري الجمعي ،حركة الشبان الجزائريين و التونسيين 1900 — 1930 ، ج1 ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2002 — 2003 .
5. عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية 1880-1954، ج1، ط2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
6. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 — 1954) ، ج6 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1998.
7. الكنز علي ، حول الأزمة خمس دراسات حول الجزائر و العالم العربي ، دار بوشان للنشر و التوزيع 1990.

8. الشيخ سليمان، الجزائر تحمل السلاح أوز من اليقين، دار القصبة للنشر الجزائر ، 2007.

9. لهلالي سلوى، "إسهامات محمد صوالح بن معمر في الدراسات الاستشراقية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابه :La Société Indigène De L'Afrique Du Nord 1937 " ، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد9 ، العدد 1 ، 2021 .

9. La voix des humbles, N°66 , novembre 19289-

10- poulard Maurice , l'enseignement pour les indigènes en Algérie , Gojosso Alger , 1910 , pp334-335 .

11- Soualah Mohammed; La Société Indigène de L'Afrique du Nord(Algérie, Tunisie, Maroc, Sahara),**2**ème partie ,imp la typo-litho et Jules Carbonel,AlGER,1937.

12-Soualah Mohammed; La Société Indigène de L'Afrique du Nord(Algérie, Tunisie, Maroc, Sahara),**3**ème partie, imp la typo-litho et Jules Carbonel,AlGER,1937

13- Alain Messaoudi ; " Les professeurs d'arabe des collèges et lycée d'Algerie1840-1940",Outre-mer, revue d'histoire, Année 2011,N 370-371.

14-Albert Bensoussan ;" la langue de ma mère" ,Hommes et Migrations, Année 1991, N 1142-1143.

15-Hamet, (1906) musulmans français du nord de l'Afrique librairie armandcolin, paris.